مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الصور النمطية السلبية للفينيقيين والقرطاجيين في المصادر الاغريقية

Negative Stereotypes of Phoenicians and Carthaginians in Greek Historiography

أسامة بقار

جامعة محمد خيضر بسكرة.

o.bagar@univ-biskra.dz

الارسال: 23/08/29 القبول :24/09/05 النشر:24/12/11 المرسل: أسامة بقار

الملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على القوالب النمطية السلبية التي تبناها وطرحها الكُتاب الاغريق اتجاه الفينيقيين والقرطاجيين خلال الفترة الكلاسيكية والهلنستية، ولغاية سقوط العالم الاغريقي تحت الهيمنة الرومانية، والتي أفضت إلى سقوطهم في فخ الأحكام المسبقة/ التحامل، التحيز، التمييز والاستعلاء العرقي اتجاههم. لقد حررت تلك الكتابات في سياقات متباينة ولأهداف قومية ودعائية، وأدت للترويج لأوصاف مشينة التصقت بالفينيقيين والقرطاجيين وشوهت سمعتهم في أعين الآخرين عبر التاريخ. تبعا لذلك، تسعى هذه الورقة البحثية لعرض هذه القوالب وفهم خلفيات وسياقات وأهداف الأوصاف السلبية والعدائية التي أوردها الاغريق حول الفينيقيين والقرطاجيين، وهذا ما يسمح بتقدير أعمق للمصادر الاغريقية التي يعتمد عليها الباحثون في معرفة التاريخ الفينيقي والقرطاجي.

الكلمات الدالة : الصور النمطية، السلبية، المصادر، الاغريقية، الفينيقيون، القرطاجيون.

Abstract:

The study aims to shed light on the negative stereotypes adopted and put forward by Greek writers towards the Phoenicians and Carthaginians during the classical and Hellenistic periods, until the fall of the Greek world under Roman domination, which led to their falling into the trap of prejudice, bias, racism, discrimination, and ethnocentrism towards them. These writings were edited in different contexts and for national and propaganda goals and led to the creation of disgraceful descriptions that were stuck to the Phoenicians and the Carthaginians and tarnished their reputation in the eyes of others throughout history. Accordingly, this paper seeks to present these templates and understand the backgrounds, contexts, and objectives of the negative and hostile descriptions that the Greeks gave about the Phoenicians and the Carthaginians, and this allows for a deeper appreciation of the Greek sources that researchers depend on in knowing the Phoenician and Carthaginian history.

Keywords: Stereotypes, Negative, Phoenicians, Carthaginians, Greek, Historiography.

مقدمة:

من المعروف أن الكتاب الاغريق ومنذ عصر "هوميروس" على الأقل هم من أطلقوا تسمية الفينيقيون (Phoinikes) كتسمية جامعة لكل سكان مُدن ساحل سوريا التاريخية (الساحل الشامي) على غرار "صيدا" و"صور" وجبيل وبيروت وغيرها من المدن، وهي التسمية التي أصبحت الأكثر شيوعا في الاستخدام رغم أنه ما من دليل يؤكد بأن الفينيقيين سموا أنفسهم بهذه التسمية، بل كانوا ينسبون أنفسهم إلى المدن-الدول التي يعيشون بها وينتمون إليها.[1] في المقابل، اتخذت العلاقات الفينيقية-الاغريقية أشكالا متعددة ومثلما عرفت أحيانا تعاونا وتبادلا تجاريا وثقافيا، فقد شهدت في غالب الأوقات تنافسا تجاريا واستيطانيا في حوض البحر المتوسط، ليمتد الأمر إلى التصادم العسكري المباشر عبر الحروب القرطاجية-الاغريقية في الاغريق الكبرى (صقلية وجنوب إيطاليا)، وغير المباشر من خلال تحالف الفينيقيين مع الفرس في الحروب الميدية. وقد أفضى هذا التنافس والتوتر إلى تبني الكتاب الاغريق لمواقف ووجهات نظر من العنصرين الفينيقي والقرطاجي، تضمنت في بعض المرات الاعجاب ببعض جوانب حضارتهما (التنظيم السياسي ومهاراتهم التجارية والحرفية والملاحية)، لكن في الكثير من المناسبات نجدها كتابات تتسم بالعدوانية والتحامل وإلصاق أوصاف سلبية ومشينه بهم. وباعتبار أن الاغريق كانوا كتابا ماهرين فقد نشروا هذه الأفكار في الحوض الغربي للمتوسط وتبناها وطورها عنهم الرومان.

ونتيجة تراجع فينيقيو الشرق وتدمير "قرطاجة" وإحراق مكتبها، فقد فقدنا وجهة نظر القرطاجيين للعلاقات التي جمعتهم بالإغريق والرومان، وهو ما جعل الباحثين أمام واقع حتمية الاعتماد على الكتابات الاغريقية واللاتينية لدراسة ومعرفة التاريخ الفينيقي-القرطاجي، وهذه الحتمية تستدعي فهم السياقات العامة والدوافع التي جعلت الكتاب الاغريق يكتبون التاريخ ويدونونه بالكيفية التي تخدم رؤيتهم ومصالحهم على حساب الشعوب المنافسة لهم. من هذا المنطلق تحاول هذه الورقة البحثية معالجة القوالب النمطية السلبية التي صاغها الاغريق اتجاه الفينيقيين والقرطاجيين والتي أظهرتهم منحازين ومتحاملين وعنصريين اتجاههم. ولدراسة هذه الإشكالية سنحاول تتبع المصادر الاغريقية من باكورة الكتابات المتمثلة في أعمال "هوميروس" إلى الفترة الكلاسيكية والهلنستية التي تميزت ببروز اصطلاح البرابرة الذي تطور مدلوله وأصبح يعبر عن الاستعلاء الاغريقي على بقية الشعوب وتقديمهم في صور سلبية وأوصاف قدحية، ثم نعرج إلى الكتابات الاغريقية التي حررت في كنف الدولة الرومانية واتسمت بأن أصحابها لم يكتفوا بالتأثر بالتصورات الاغريقية السابقة، بل كذلك بالدعاية الرومانية شديدة الكراهية والحقد اتجاه القرطاجيين.

1. القوالب النمطية السلبية من "هوميروس" إلى عصر "بوليبيوس":

لقد كان الشاعر "هوميروس" الذي ألف أعماله في القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد أول كاتب اغريقي وردت عنده تسمية "الفينيقيون"، فأشار إليهم "بالصيداويين" في الإلياذة و"بالفينيقيين" في الأوديسة. ففي "الالياذة" ذكر الفينيقيون مرة واحدة كتجار، عكس "الصيداويين" الذين قُدموا كحرفيين.[2] أما "الأوديسة"، فقد تضمنت عديد الإشارات للفينيقيين؛ إذا كان "هوميروس" قد قدمهم في مرة واحدة كبحارة صادقين (نزيهين) يفعلون ما بوسعهم لاحترام إتمام الصفقة من جانبهم،[3] فإنه في مواضع أخرى صورهم على كونهم تُجار مُخادعون وجشعون ومحتالون وماكرون.[4] وفي الكتاب الموالي من "الأدويسة" المعنون بـ"إيماوس" (Eumaeus)، كتب كلاما مماثلا عن اشتهار الفينيقيين بالتجارة والصناعة الحرفية، وكذلك الجشع والمكر وممارسة الاغواء والاختطاف،[5] فماذا يُمكن أن نفهم من إشارات "هوميروس"؟ وكيف نفسرها؟

إن الدراس لدلالات أوصاف "هوميروس" حول الفينيقيين يقف على نقطتين، الأولى هي ارتباط هذا الشعب بالتجارة والتي جعلت منهم بحارة مشهورين وحرفيين ماهرين (وبالتحديد الصيداويين). أما الثانية، فقد ظهر في صورة شخص يحمل انطباعات ومواقف سيئة عن الفينيقيين ويقدمها للقراء، فقدمهم في قوالب سلبية تتلخص في كونهم أناس يمارسون المكر والخديعة، ويحركهم الشجع وحب المال، والذي من أجله مستعدون لفعل العديد من الأفعال الدنيئة وعلى رأسها الإغواء والاختطاف والاحتيال، فهل هذه الأوصاف السلبية نابعة عن ممارسات فعلية للفينيقيين أم أنها مجرد وجهة نظرة للكاتب وللإغريق لهذا الشعب المنافس لهم تجاريا واستيطانيا في البحر المتوسط؟ في الواقع، عند محاولة تفسير هذا التقديم السلبي للفينيقيين من قبل "هوميروس" يمكن تقديم تفسيرين محتملين؛ الأول هو طرح يتصف "بالتحامل"، أي أن ازدراءه للفينيقيين يندرج ضمن هذا المفهوم العام، وهذا الازدراء تشربه من شعبه الذي تتشابه طريقة كسبهم للثروة لطريقة الفينيقيين (الملاحة والتجارة والزراعة والحرف). ومنه، فالإغريق كانوا يحقدون على الفينيقيين لأنهم ينافسونهم تجاريا ويضيقون عليهم مصادر الرزق وكسب الثروة. وهذا التشابه في أنشطة اكتساب الثروة بين الاغريق والفينيقيين يظهر وجود ازدواجية وتحيز واضح، فكيف ينجو الاغريق من الأوصاف السلبية والنقد، في حين تلتصق بالفينيقيين، وهذا ما يظهر بوضح تحاملا من قبله.[6]

وبعد فترة من صمت المراجع الاغريقية، نجد أنه منذ القرن الخامس قبل الميلاد وفي سياق حروب الاغريق ضد الفرس المعروفة باصطلاح "الحروب الميدية" برز وتصاعد استخدام اصطلاح "البرابرة" (Barbarians/βάρβαρος) الذي وظف في البداية من قبل الكتاب الاغريق للإشارة إلى الأناس "الأجانب" عن الحضارة الاغريقية أو بالأحرى غير المنتمين لها ثم تطورت دلالاته لتصبح تعبر عن تقسيم بشري يظهر العقلية الاستعلائية التي تبناها ومارسها الاغريق ضد بقية الشعوب وتبنيهم لخطابات عنصرية ومتحاملة، فزكوا أنفسهم وشوهوا الآخر المختلف عنهم وخلقوا تبريرات لأنفسهم لممارسة الغزو والتشويه والتحامل. ومن هذا المنطلق

تعاملت عديد الكتابات الاغريقية مع "الفينيقيين والقرطاجيين" كجزء من الشعوب الذين وصفوا بالبرابرة وكونت خطاباً عدائيا ضدهم.

وكانت البداية مع الفيلسوف "أفلاطون" (ح428-347 ق.م) الذي نوثق لديه جملة من الآراء السلبية والتي كتبت في سياق مشحون من الصراع الاغريقي-القرطاجي حول جزيرة صقلية. فنجده في إحدى الرسائل يؤرخ للصراع الذي دشنه "ديونيسيوس الأول" ضد القرطاجيين منذ سنة 409 ق.م والذي استمر حتى سنة 340 ق.م والمعروف "بالحرب الصقلية الثانية"؛[7] من خلال هذه الرسالة نجد أن أفلاطون يعتبر أن "ديونيسيوس" وطغاة صقلية قد أنقذوا جزيرة صقلية من خطر استيلاء البرابرة القرطاجيين عليها ومنه اختفاء اللغة الاغريقية منها التي تعد رمزا للعالم الاغريقي المتحضر، وهنا تؤكد الرسالة على نقطتين؛ اللغة الفينيقية للقرطاجيين والذين بانتصارهم ستسود لغتهم، وأن أحد أوجه العداء الاغريقي-الفينيقي لم يكن فقط سياسي واستيطاني وعسكري، بل ثقافي، فزوال الاغريقية معناه انتشار أوسع للفينيقية بالجزيرة.

ويواصل "أفلاطون" ويعبر عن العداء الاغريقي اتجاه من أطلقوا عليهم تسمية "البرابرة". ففي خطاب ألقاه على لسان "أسبازيا" (Aspasia) في مؤلف الحوار السقراطي (Menexenus) نقف على أنها أثنت على الأثينيين لأنهم "هيلينيون بأتم معنى الكلمة ولم يختلطوا بالبرابرة"، فلا تجد فيهم أحفاد "بيلوبس" (Pelops)، "قادمس" (Kadmos)، "آيجيبتوس" (Aegyptos) أو "دانواس" (Danaos) أو العديد من الشعوب الأخرى الذين هم بطبيعتهم "برابرة"، وهذا عكس "الهيلينيون" الذي يعيشون مع بعض بالاتفاق". ويستنتج من هذا أن الاستعلاء العرقي أصبح يؤمن به الحكام الاغريق ويصرحون به، وأن فكرة "النقاء العرقي" التي ظهرت في الفترة المعاصرة كان لها أثر في الخطاب العرقي الاغريقي.[8]

وفي كتابه "الجمهورية" قدم صفات سلبية تعميمية لبعض الشعوب، فاعتبر أن الفينيقيين والمصريين يتميزون بحب المال (=الجشع φιλοχρήματον)، وهذا بعد أن مدح الجهة التي يسكنها والمتميزة "بجودة حب المعرفة".[9] أما في مؤلفه "القوانين" نجد أن الفينيقيين والمصريين والعديد من الشعوب الأخرى هي مُتهمة من قبله باتباعها نهج لجمع الثروة والربح، مما يعبر عن نظرة ضيقة الأفق (متحجرة التفكير) وتعصبا لتنظيماتهم، وأنه بسبب التعليم الرياضياتي للفينيقيين والمصريين أو لسبب آخر، تطور فيهم "الغش πανουργία" بدلا من "الحكمة σοφία" التي تطورت عند الاغريق. بذلك، فهو يقدم مجموعة من الصور النمطية السلبية للفينيقيين: حب المال والغش وافتقادهم للحكمة وحب المعرفة.[10] وفي مقطع من مسرحية كوميدية منسوبة بتردد إلى "أرسطوفانس" (ح427-386 ق.م) تقول إحدى الشخصيات: "**أنا سأصبح فينيقيا حقيقيا، أمنح بيد وأستعيد بالأخرى ما منحت**". ومع أنه من غير المعروف ما إذا كانت الشخصية المتحدثة فينيقية أو إغريقية، فقد يُنظر لهذا المقطع على أنه إشارة لممارسة الفينيقيين للحيلة والخداع والالتفاف على عهودهم، وهي نظرة اغريقية سيرددها الرومان فيما بعد بقوة.[11]

هذا يجعلنا نلاحظ أن خلال القرنين الخامس-الرابع قبل الميلاد اشتغلت السردية الاغريقية الممثلة في كتاب أثينيين وغيرهم على تقديم صورة/تصور للفرس، عدوهم اللدود في الشرق ومعهم الفينيقيون الذين تميزوا بكونهم منافسين لهم تجاريا واستيطانيا وكذلك حلفاء للفرس ضدهم. وفي نفس الوقت عمل طغاة مدينة "سرقوسة" وجزيرة صقلية على تقديم صور نمطية سلبية عن عدوهم اللدود في الغرب، مفادها أنهم يسعون لتحرير الاغريق الصقليين من القرطاجيين البرابرة، وهنا تميز الخطاب الاغريقي بعلامات ونبرة سلبية قوية ووعظ أخلاقي. وعلى سبيل المثال، نجد ذلك الادعاء بأن "جيلون" (Gelon) طلّب وأمر القرطاجيين في معركة "هيميرا" 480 ق.م بالتخلي عن طقس تقديم القرابين البشرية، وهو ما ورّد في المرويات منذ زمن "ثاوفرسطس" (ح372-287 ق.م).[12] وفي السخرية من الملابس القرطاجية في الخطاب المنسوب إلى "تيمليون" (Timoleon) في معركة "قريميسوس" (Crimisus) 340-339ق.م.[13]

وعلى الرغم مما قيل عن قدم الخطاب العدائي للفينيقيين والقرطاجيين، فإن الباحث الإيطالي "أرنالدو موميليانو" اعتبر أن ذلك الخطاب وتقديمهم في قوالب سلبية نمطية قد برز بشكل واضح عند "تيمايوس" الذي كان من أوائل الكتاب الاغريق المشوهين للفينيقيين والقرطاجيين، فكتب: "**إن تشويه سمعة شخصية القرطاجيين رصدت عند المؤرخ صقلي المولد "تيمايوس"، وهذا قبل حتى أن يجعل الخطباء والكتاب الرومان من كلمة "الايمان البونيقي القبيح Punica fides" شعاراً لهم**".[14] في الواقع، من المؤكد أن هذا المؤرخ المولود بصقلية والذي عاش خلال القرنين الرابع-الثالث قبل الميلاد، وهي فترة هامة الصراع القرطاجي-الاغريقي في "صقلية"، قد تأثر به ولأسباب وطنية (شخصية اغريقية صقلية ناقمة عن سعي "قرطاجة" للسيطرة على صقلية) قدم خطابات عدائية ضد القرطاجيين، فأصبح "تيمايوس" استهلال للتأريخ المحازب القائم على التورط الشخصي، وهو نوع من الكتابة تطور بشكل فج بين المؤرخين الرومان وأنتج الصورة الأكثر تشويها للقرطاجيين. وبذلك، جسد "تيمايوس" الموقف المناهض للقرطاجيين وبصفته اغريقي صقلي، فقد اختبر عن كثب تطور قوة الدولة القرطاجية وكانت له بالتأكيد تحفظات على القرطاجيين الذين كانوا يستندون أحيانا على الاغريق الصقليين.[15]

ولعل العرض السلبي الأوضح للقرطاجيين يتضح في ذكر أن المعاهدة التي أعقبت معركة "هيميرا" تضمنت حظر التضحية البشرية: ادعى الفيلسوف الاغريقي "ثيوفراسيتوس" في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد أن الطاغية السراقوسي "جيلون" طالب (وأمر) القرطاجيين بالتخلي عن الممارسة الوحشية المتمثلة في تقديم القرابين البشرية كجزء من تسوية السلام بعد أن هزمهم في معركة "هيميرا" عام 480 ق.م.[16] على أن انتقاد الفينيقيين والقرطاجيين لممارستهم طقوس تقديم القرابين البشرية كان قبل زمن "ثيوفراسيتوس"، فالكاتب التراجيدي الاغريقي "سوفوكليس" (496-405 ق.م) أورد أنه من عادة البرابرة تقديم قرابين بشرية إلى "كرونوس" (بعل-حمون).[17] وفي نص مؤرخ بالقرن الرابع قبل الميلاد ويُزعم أنه أحد محاورات "أفلاطون" أو أفلاطون المنحول (Pseudo-Plato)، نقف على حوار بين "سقراط" ورفيقه اللذان يحاولان إيجاد تعريف للقانون، فيمضي "سقراط" في الدفاع عن تعريفه للقانون على أنه "ذلك الذي يميل إلى اكتشاف الواقع". فاعترض رفيقة

على أنه إذا كان هذا صحيحا لكان البشر يستخدمون نفس القوانين في كل مكان، لكن نعلم أنه ليس كذلك، وأعطى مثالا عن التضحية البشرية المحظورة والآثمة في "كريت" أين يجري الحوار، بينما القرطاجيون يؤدونها على أنها شيء يعتبرونه مقدس وشرعي، فيضحي بعضهم حتى بأبنائهم للإله "كرونوس"، وهو الأمر المنتشر أيضا بين بعض المدن الاغريقية: هنا نلاحظ أنه رغم ممارسة بعض الاغريق للتضحية البشرية، لكنهم شوهوا وشيطنوا الفينيقيين لممارستهم هذه الطقوس التي لا تزال محل نقاش محتدم.[18] وجاءت أول رواية تفصيلية حول تقديم القرطاجيين للقرابين البشرية عند "كليتارخوس" في القرن الثالث قبل الميلاد والذي يعد أحد مؤرخي الإسكندر الأكبر.[19]

في المحصلة، لقد عمل طغاة "صقلية" على إضفاء الشرعية الذاتية لأنفسهم وكان من بين الأسلحة الملائمة خلق تبريرات لحربهم ضد "قرطاجة"، ومن ضمنها أن القرطاجيين البرابرة يعملون على إنهاء وجودهم في الجزيرة، وخلق هذا العدو الدائم يساعد على اخضاع الجبهة الداخلية وكسب شعبية لسلطته. وفي سياق الصراع القرطاجي-السرقوسي زمن الملك "أغاثوكليس" تم تقديم القرطاجيين في صورة أشخاص "قساة ووحشيين" من خلال ذكر أنهم عندما هاجموا ميناء "سرقوسة" في نواحي 314-312 ق.م استولوا على سفينتين تجاريتين من "أثينا"، فقاموا بإغراقهما وقطعوا أيدي طاقمهما، وقد انتقم لهم قادة "أغاثوكليس".[20] وإثر غزو هذا الأخير "لقرطاجة" في نواحي 310 ق.م حدثنا الكتاب الاغريق عن استئناف تقديم القرطاجيين للقرابين البشرية للإله "بعل-حمون" ليساعدهم في انهاء الحصار وأن القرطاجيون مارسوا الاحتيال على الإله من خلال استبدال بعض الأطفال بأطفال آخرين. وبالتالي، نجد أن أوصاف القسوة والوحشية والاحتيال على الآلهة (عدم التقوى) كانت الكتابات الاغريقية السباقة للترويج لها.[21] وسمح الخطاب العدائي ضد "قرطاجة" ومشاركته في حملة "بيروس" بصقلية للملك السرقوسي "هيرون الثاني" من الوصول إلى السلطة، وتزامن ذلك مع تأليف الشاعر "ثيوقريطس" لمؤلفه "إديلا" في نواحي 275-274 ق.م والذي سعى للحصول على رعاية "هيرون" وكتب أبيات مادحة لحروبه ضد القرطاجيين.[22]

2. القوالب النمطية السلبية عند المؤرخ "بوليبيوس":

قدم المؤرخ الاغريقي "بوليبيوس" (ح200-120 ق.م) الذي أصبح مقربا من عائلة السكيبيونيين واختير ليكون المدرس الشخصي لمدمر قرطاجة "سكيبيو إيمليانوس" وهي العملية التي شارك فيها شخصيا بصفة خبير في حصار المدن، أوصافا سلبية للقادة القرطاجيين الذين حسب زعمه لهم نفس الطباع والخصال السيئة للفينيقيين، فهم يتميزون حسب رأيه بعدم السيطرة (التحكم) على أنفسهم ومرد ذلك الجشع، وهي الصفة التي امتلكوها من نزعتهم التجارية وحب السيطرة المتأصل في الفينيقيين.[23] واتجهت سهام "بوليبيوس" العدوانية صوب القائد القرطاجي "حنبعل برقا"، فعلى الرغم من اعتباره أن ما حل بالقرطاجيين والرومان سببه رجل وعقل واحد هو "حنبعل"، ومثلما هو نتاج عظيم ورائع للطبيعة التي منحته عقل ملائم لتنفيذ مشروع ضمن القوة البشرية، إلا أن هذا لا يلغي حقيقة أنه شخصية خلافية، فهو متهم بالقسوة المفرطة عند البعض

وبالجشع عند آخرين. وتتضح هذه القسوة المفرطة من خلال أن أحد قادته وهو "حنبعل مونوماخوس"[24] (Hannibal Monomachus) اقترح عليه ذات مرة فكرة مفادها أن الحل الوحيد للوصول لإيطاليا هو تعليم قواته أكل لحوم البشر وأن يعتادوا على ذلك، وهو ما لم يقتنع به "حنبعل" ومستشاروه العسكريين.

ويضيف المؤرخ أن سمعة "حنبعل" تضررت بفعل "القسوة" وهي صفة لم تكن نتاج شخصيته، بل نتاج عوامل خارجية، ومن بينها النصيحة السيئة من قبل رفاقه وطبيعة الوضع العسكري.[25] في الواقع، إن الاقتراح المُقدم والطريقة المستخدمة من قبل "بوليبيوس" تسمح بإلقاء الضوء عليه كمؤرخ وللجدل الذي يحيط بطريقة تمثيل "حنبعل" في المصادر القديمة. في الواقع، يُمكن أن يُنظر لنادرة أكل لحوم البشر (anthrōpophagia) في جيش "حنبعل" والقسوة (ōmotēta) إبان الحرب القرطاجية-الرومانية الثانية، من باب إعجاب "بوليبيوس" بالقائد "حنبعل" وأن رفضه لها أخلاقي أكثر منه إجرائي وأن الظروف الصعبة والتحديات الكبيرة قد تدفع لتقديم مقترحات متطرفة. مع ذلك، يشير "بوليبيوس" إلى أنه من الصعب إبداء رأي حول الطبيعة الحقيقة "لحنبعل" وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار تأثير أصدقائه وقوة الظروف. لكنه ردد الدعاية الاغريقية اتجاه الفينيقيين بقوله أنه كان معروفا عند القرطاجيين بحبه للمال وكذلك الدعاية الرومانية بقول أنه كان معروفا عند الرومان بقسوته؛ لكنه عاد وقال أن المسؤول الأول عن عديد الفظائع المرتكبة من قبل "حنبعل" في إيطاليا تعود لصديقه "حنبعل مونوماخوس".[26]

على أنه من الوارد أن شخصية "مونوماخوس" المذكورة هي من اختلاق "بوليبيوس" الذي لم يكن معاصرا لهذه الأحداث ولا نعرف ما هو مصدره (ربما "سيلينوس" (Silenus) أو "سوسيلوس" (Sosylus)، وهذا بهدف تبرئة "حنبعل" من القسوة المفرطة والشديدة لشخصه ونسبها لمستشاره (أو ضباطه) وهذا التشويه العابر لجيش "حنبعل" يحظى بقبول أكثر عند جمهور القراء. وحسب "بوليبيوس"، فإن مشكلة إمداد جيش "حنبعل" خلقت صعوبات جمة على مستوى أمتعة الحيوانات ونقص الغذاء، ما أدى لتناقص أعداد الناجين وحالة البؤس في صفوف جيشه، وهذا دفع للتفكير في اللجوء إلى أكل لحوم البشر كحل لمشكلة التموين الغذائي.[27] وعلى الرغم من عديد عمليات إعادة الإمداد طوال الطرق، فإنه أورد أن نقص الغذاء أدى إلى انخفاض عدد الناجين الذين كانوا في حالة بائسة.[28] وعلى أي حال، فقد أكد "بوليبيوس" صعوبات التموين التي واجهها جيش "حنبعل" عند اجتيازه جبال الألب، وهذا يجعل القراء يرون معقولية فكرة "مونوماخوس" المتضمنة أنه دون اللجوء إلى أكل لحوم البشر سيكون من الصعب حل المشاكل اللوجستيكية. لكن في الواقع، هذا الطرح يصعب تقبله باعتبار أن "حنبعل" خطط بعناية وحرص لكل ما يتعلق بتفاصيل الحملة وأرسل كشافين ضمنوا سلامة الطريق وخففوا صعوبات التموين بفضل التواصل مع الشعوب القاطنة على طريق حملته.[29]

تبعا ذلك، يبدو أن "بوليبيوس" سعى من خلال هذه الإشارة إلى العمل على تصوير وجود ضباط ذو قسوة ووحشية وأصحاب مقترحات غاية في البشاعة في جيش "حنبعل"، واختار وضع هذا المقترح في سياق مشاكل الإمداد إبان المسيرة إلى إيطاليا، فهل كان أسرى "حنبعل" في المسير كثيرون لدرجة أنه بإمكانهم إطعام جيش

يفوق عدده 40 ألف جندي أو أنه عليهم اللجوء إلى أكل لحوم رفاقهم المتوفين؟ ورغم أن "حنبعل" رفض المقترح، إلا أنه حسب "بوليبيوس" اعتبره اقتراح "جرئ وعملي". وإذا كان "بوليبيوس" لا يذكر سبب اعتراض "حنبعل"، فإن المؤرخ الاغريقي-الروماني "ديون كاسيوس" أورد فيما بعد أن الأمر متعلق بمشكلة التموين، وشهادة هذا الأخير تعني أن "حنبعل" اعترض على هذه الطريقة في ضمان طعام الجنود ليس لأسباب متعلقة بالأخلاق أو التقوى والورع، بل لأنه خاف من أن يقود ذلك بأن يأكل جيشه نفسه. ويدفع هذا الأمر للتساؤل عن مصدر "ديون كاسيوس"؛ هل مجرد اجتهاد بلاغي اعتمادا على "بوليبيوس" أم فكرة مطورة اعتمادا على مصادر قمعها "بوليبيوس"؟[30]

وفي موضع آخر وضمن سياق وصف ما يعرف باسم "تمرد الجند المأجور (المرتزقة)" (241-237 ق.م)، أورد أن المتمردين المحاصرين أقدموا في البداية على أكل لحوم أسراهم بطريقة وحشية، ثم عبيدهم، وبعدها انقلبوا على قادتهم باللوم، ما اضطر قادتهم في النهاية لتسليم أنفسهم. وهذا هو المثال الوحيد الذي يعتقد "بوليبيوس" أنه وقع بالفعل، وهي القصة التي قد يكون استقاها من رواية مؤيدة لقرطاجة على حساب المتمردين، أو اختلقها لتدعيم فكرة أن هذا التمرد تفوق على جميع الحروب من حيث القسوة/الوحشية (ōmotēta) وانتهاك القانون المشترك (paranomia).[31] والمتمعن لوصف "بوليبيوس" يلحظ أنه اعتبرها حربا تميزت بأعمال عدائية لا متناهية ولم يكن فيها أمل للهدنة" (truceless war)، فلم يحترم أبطالها قدسية المنذرين ورفض الجانبين السماح بدفن موتاهم.[32] ووصل الأمر بالمتمردين إلى أكل بعضهم البعض (allēlophagia)، فانتهكوا القوانين البشرية والإلهية (adikia et asebeia). وفي بداية التمرد عذبوا وشوهوا 700 قرطاجي تم أسرهم خلال المفاوضات، وتلك الفظائع والانتهاكات التي مارسوها كانت المتسبب في النهاية المأساوية لهم (سحقهم بالفيلة من قبل "حملقار برقا").[33]

وبعد أن أسس "بوليبيوس" لموقفه من أكل هؤلاء المتمردين للحوم البشر والذين تميزوا بالقسوة المفرطة، ربما أراد أن يوصل للقراء أنه لهذا السبب رفض "حنبعل" مقترح تعليم قواته لممارسة أكل لحوم البشر. وبالتالي، فدافع الرفض لم يكن فقط الخوف من أن يتعودوا على هذه العادة البشعة، بل كذلك رفض أخلاقي يقوم على تجنب سقوط جيشه في نفس الممارسات التي وقع فيها خصوم والده خلال تمرد المرتزقة، فيتحول جيشه تدريجيا هو الآخر إلى وحوش قاسية ومفتقدة للورع. وعلينا ألا نغفل أن رفض "حنبعل" لمقترح آكل جنوده للحم البشر يعبر عن رغبته في تعزيز سمعته وإظهار شخصيته وأخلاقه التي تسمح له بكسب ولاء جيشه له وإقناع الآخرين بالتحالف معه في مشروعه السياسي والعسكري.

وعلى الرغم من إعجاب "بوليبيوس" بتقديرات ونتائج العديد من أفعال القائد القرطاجي "حنبعل"، فقد قدمه في عديد المناسبات في صورة القائد المرتكب لأفعال تتسم بالقسوة المفرطة وهذا السلوك كان نتاجا حسب رأيه للضغط الخارجي أكثر من كونه مرتبط بشخصيته الحقيقية المتحضرة. لكنه عمل على جعل "مونوماخوس" كبش فداء لقسوة "حنبعل" المزعومة في "إيطاليا"، فصور أن هذا المقاتل المنفرد

(مونوماخوس) كان المدافع الوحيد عن سياسة آكل لحوم البشر اللاإنسانية والآثمة. وهذا التقديم "البوليبي" يهدف لإيصال رسالة مفادها أن النصيحة السيئة تغير حتما من شخصية الرجل وأن مستشاريه (والظروف الصعبة التي واجهها) أثروا سلبا على شخصية "حنبعل" الذي وإن رفض نصيحة "مونوماخوس" الشريرة، فقد مارس أفعالا فظيعة تحت تأثير نصائحه الأخرى. وسواء كانت الأعمال الوحشية من صميم قرارات "حنبعل" باعتباره القائد الأعلى للجيش أو بفعل النصائح السيئة لرفيقه مونوماخوس ومستشاريه الآخرين، ففي المحصلة هنالك عمل على إلصاق تهمة القسوة والأفعال الوحشية بالجيش القرطاجي خلال تواجده في "إيطاليا".[34] كما قدم "حنبعل" في صورة القائد الذي خرق التزامات الحماية التي تعهد بها لبعض الجماعات عقب خسارته لمدينة "كابوا" عام 211 ق.م، فتخلى عن بعض المدن وسحب حامياته من أخرى خشية فقدان جنوده.[35] وكسره لتلك الاتفاقيات التي يضمنها القسم أمام الآلهة جعله تحت طائلة عدم توقير الآلهة (المعصية). في حين ألصقت به تهمة القسوة وافتقاد التقوى بناءً على أنه سمح لنفسه بانتهاك المعاهدات التي أبرمها والإجلاء القسري للسكان ونهب المدن المتحالفة والمهجورة.[36]

وهنا يقر "بوليبيوس" وبسهولة أن "حنبعل" اقترف تلك التجاوزات وأجاز تلك الأفعال، وهو ما تسبب له بإهانة كبيرة وسط حلفائه نظرا لأن سرقة الأموال بالإكراه والقتل والعنف كانت أعمالا سيئة مرافقة لهم.[37] وأكد أن القوات المغادرة والجنود الوافدين (على الأرجح الرومان) ارتكبوا العديد من الجرائم. وبهذا، فحنبعل حسب رأيه هو قائد عسكري جيد، لكنه أجبر على الانصياع للظروف ونال توبيخا على إطلاقه العنان لجنوده لممارسة تسلية تقليدية شوهت سمعته.[38] بذلك، فإن تضمين "بوليبيوس" لمقترح أكل لحوم البشر يشير إلى أن الروايات المبكرة عن وحشية "حنبعل" قد تجاوزت اتهامات خرق المعاهدات وعمليات التهجير القسري للسكان من مدنهم. في هذا الصدد، تضمنت الذاكرة الشعبية قصصا لمذابح أو معاملات سيئة للسجناء، ومن أمثلة ذلك ما نقله "أبيانوس".[39] وعكس الكتاب الرومان، لم يذكر "بوليبيوس" إلا إشارات قليلة عن المعاملة السيئة للأسرى من قبل "حنبعل" ومن أمثلة ذلك أنه نظم قبل معركة "تريبيه" (Trebbia) قتال للمجالدين (monomachiai) بين الأسرى الغاليين ينتهي بالانتصار أو الموت.[40] ويقول "بوليبيوس" أنهم عاملهم عن قصد بطريقة خبيثة (kakon) من خلال ربطهم بسلاسل ثقيلة، فتشوهت أجسادهم من الضربات وعانوا كثيرا من الجوع.[41] وهذه المعاملة القاسية للأسرى جاءت بهدف تعليم جنوده معاني "النصر" و"الهزيمة"، وقدم "حنبعل" خطابا ورد عند "بوليبيوس" برر فيه أسباب هذه المعاملة القاسية للأسرى.[42]

إن تقديم هذه الوقائع وبهذا الشكل قد يكون لغايات تعليمية وتدوينية، لكنه ينقل للجمهور صورة سلبية عن "حنبعل" الذي ألصقت به تهمة المعاملة القاسية للأسرى وإن عمل "بوليبيوس" على تقديم تبريرات لها؛ معاملته السيئة لهم كانت بسبب ضغط الظروف والحاجة، فقبل التواجه مع الرومان عمل على إقناع جيشه بالعواقب الوخيمة للهزيمة، ومن غير المستبعد أنها فكرة من اختلاق الرومان "وبوليبيوس" لإيصال رسائل سياسية متعددة.[43] في الحقيقة، إن مآثر القسوة التي أراد "بوليبيوس" توثيقها هي تستهدف "حنبعل" ورجاله وتوصل للقراء رسائل مبطنة عن وحشية ودموية هذا الجيش الذي واجهته روما والذي لم يتردد في التفكير بآكل لحوم

البشر للوصول إلى إيطاليا ومعاقبة الأسرى لحشد صفوف الجيش وتقوية عقيدتهم الحربية وصولا لكسر المعاهدات والتخلي عن الحلفاء وتهجير السكان ونهب الممتلكات، وهذه الأفعال تعبر عن صفات القسوة والجشع والتخريب وافتقاد التقوى والغدر في الجانب القرطاجي، وهي أفعال استسلم لها "حنبعل" تحت وقع ضغط الظروف والمستشارين السيئين حسب "بوليبيوس".

لكن عقب انتصار "حنبعل" في معركتي "تريبيه" و"تراسمين" أقدم على إطلاق سراح الأسرى غير الرومانيين في محاولة لتقديم نفسه كمحرر ولتشجيع الحلفاء على الثورة.[44] وهذا يقدم صورة التعارض بين مقترح "مونوناخوس" المتضمن أكل لحوم بشر الأجانب (exocannibalism)، والذي يطبق على الأعداء المأسورين وسياسة "حنبعل برقا" الهادفة لكسب شعوب أخرى لصفه وتقديم سمعة طيبة عن مشروعه السياسي والعسكري؛ قامت سياسة والده "حملقار برقا" بدورها على التساهل مع الأسرى وتجنيد الأعداء المهزومين خلال المراحل الأولى من حرب الجند المأجور، وهي السياسة التي قلدها "حنبعل" في مسيرته لإيطاليا وبإيطاليا.[45] وعلاوة على ذلك، أبقى للأسرى الرومان الحد الأدنى من الجراية وهذا على الأقل حتى عقب معركة "كاناي" أين حاول فدية أولئك الذين وقعوا بين يديه.[46] مع ذلك، يزعم "بوليبيوس" أنه مباشرة بعد معركة "تراسمين" وخلال زحفه نحو الساحل الأدرياتيكي عبر "أومبريا" (Umbria) و"بيقينوم" (Picenum)، قتل في طريقه كل من هم في عمر الخدمة العسكرية (القادرون على حمل السلاح)، وهذا "بسبب كراهيته العميقة للرومان".[47]

بهذا الخصوص، نجد أن "بوليبيوس" روج وبشدة لأطروحة أن "حنبعل" كان متشبعا بقيم الثأر والكراهية العميقة اتجاه الرومان، والتي غرسها فيه والده، ما مثّل أحد الأسباب الرئيسية لاندلاع الحرب القرطاجية-الرومانية الثانية (218-201 ق.م)،[48] وسعى بذكاء ومكر لتصوير أن ما حل بالأمتين القرطاجية والرومانية سببه عقل ورجل واحد هو "حنبعل" الذي كان يمارس حرب إبادة ضد الرومان مدفوعا بالحقد؛ انتصارات ساحقة في عديد المعارك، الاستيلاء على المدن بالاقتحام والبطش مثل "جيرونيوم" (Gerunium) وتخريبها على سكانها وإعطاء الأوامر بقتل جميع البالغين الذين يقعون بين أيديهم.[49] مع ذلك، يعتبر "بوليبيوس" أن غضب القرطاجيين ورغبتهم في الانتقام دافع عادل للحرب: "إذا اعتبرنا أن سبب الحرب هو الاستيلاء على سردينيا (وكورسيكا) وفرض جزية إضافية. وبالتالي، هو يرى أنه يجب الاعتراف أن القرطاجيين كان لديهم سبب وجيه (eulogos) للالتحاق بالحرب الحنبعلية، فاكتفوا بالاستسلام للظروف واستفادوا منها للانتقام من أولئك الذين أضروا بهم".[50] تبعا لذلك، يبدو أن موقف "بوليبيوس" من وحشية "حنبعل" في إيطاليا تتوافق مع حجته عن المجد (aristeia) الحنبعلي.[51] وهذا ما جعل عديد الأفعال الحنبعلية مقبولة من منظور "بوليبيوس" الأخلاقي، فالانتقام والكراهية لهما ما يبررهما في بعض الأحيان من قبيل العنف ضد السجناء.

وردد "بوليبيوس" صفة الحيلة التي أطلقتها كتابات سابقة على الفينيقيين، فنجده يقول عن حنبعل" أنه "**خلال هذا الشتاء استخدم خُدعة (حيلة) فينيقية**". وهذا الوصف يمكن اعتبار أنه على صلة بالمثل اللاتيني "الايمان البونيقي القبيح"؛ يورد "بوليبيوس" أنه خوفا من اغتياله على أيدي حلفائه الغاليين قام بالتنكر بشعر

مستعار وملابس مختلفة.[52] ونقل أن الرومان استعملوا الخطاب الديني لإدانة القرطاجيين، ومن أمثلة ذلك أن "سكيبيو ايمليانوس" وخلال حصاره لقرطاجة في 147-146 ق.م اتهم "حصدربعل" (Hasdrubal) بتدنيس والاستهزاء بالمسائل الإلهية/افتقاد تقدير الآلهة (asebeia) بفعل معاملته السيئة للأسرى الرومان.[53]

وفي المحصلة، فإن "بوليبيوس" المقرب من الأسرة السكيبيوينية ودوائر السلطة في "روما" قد قدم صورا مختلفة عن القرطاجيين وحنبعل تقوم على القسوة المفرطة والتخريب وعدم الوفاء بالعهود، وحاول في المقابل تحليل شخصيته وتقديم مبررات أخلاقية لأفعاله حيث عزاها للتنشئة والقيم التي حملها من والده وضغط الظروف والرفقاء الذين قدموا له نصائح سيئة زادت من حدة عنفه، وهذا يعني أنه كان متأثرا بمقترحات مجلسه العسكري. وبقدر ما عمل "بوليبيوس" على تقديم عديد الأوصاف السلبية لحنبعل، فإنه سعى لمحاكمته أخلاقيا بصفته القائد والشخصية الفاعلة في الحرب القرطاجية-الرومانية الثانية، وأطلق العنان لبعض اللوم على مستشاريه وجنوده، وكأنه يظهر فشل "حنبعل" في ممارسة سيطرة كافية على أفعال جيشه. لكنه في مواضع أخرى من مؤلفه يجادل بأنه تحكم في قدراته الوحشية بطريقة مثالية، ويجادل أيضا أن أفعاله قد تبدو قاسية لبعض المراقبين، لكنها مبررة؛ إساءة معاملة الأسرى الغاليين لإظهار حقيقة أوضاعهم وإلهامهم لتحقيق النصر، وقتله للشباب القادرين على حمل السلاح بعد موقعة "تراسمين" جاءت للثأر من أفعال الرومان، وهزمت أخلاق وأهداف "حنبعل" مقترح أكل لحوم البشر لما فيه من خطر معنوي عليه ورجاله.[54]

3. الصور النمطية السلبية ما بعد عصر "بوليبيوس":

استخدم المؤرخ "ديودورس الصقلي" الذي عاش في كنف الجمهورية الرومانية اصطلاح "البرابرة" لوصف "الفينيقيين/القرطاجيين" وجيوشهم الذين كانوا في حرب ضد طغاة مُدن اغريق صقلية،[55] ومارس تحاملا وتحيزا عرقيا خلال وصفه استيلاء "ديونيسيوس الأول" على السلطة وفي حروبه ضد القرطاجيين المقيمين في "سرقوسة" وأماكن أخرى من الجزيرة ونهب مستوطنة "معطية".[56] ونظرا لعيشه بروما، فقد تأثر "ديودورس" بالقوالب النمطية السلبية حول القرطاجيين والتي امتدت لتشمل كل الفينيقيين من خلال ترديد ممارسة الفينيقيين للحيلة عند إبرام المعاهدات لربح الوقت ثم الذهاب للتحضير للحرب، ومنه التأكيد على التصاق صفة الغدر والخيانة وعدم احترام العهود بهم. فأورد أن المعاهدة الزائفة التي أبرمتها بعثة رومانية مع الملك "بيرسيوس المقدوني" سنة 172 ق.م بهدف ربح الوقت للاستعداد للحرب قد دفعت بعض أعضاء مجلس الشيوخ الروماني الأكبر سنا إلى القول أنه "**لم يكن من المناسب للرومان تقليد الفينيقيين، وذلك للتغلب على أعدائهم بالخداع وليس بالفضيلة**".[57]

ونراه في فقرة أخرى يشير إلى أن السكان المحليين لإيبيريا لم يكونوا يعرفون استغلال الفضة، وهو ما استغله الفينيقيون بشراء الفضة منهم مقابل سلع قليلة وأحيانا عديمة القيمة، ما كان سببا في ثرائهم، حيث كانوا ينقلونها إلى الاغريق وآسيا وجميع الشعوب الأخرى. ولكي يقدم صورة عن جشع التجار الفينيقيين أورد أنه في

حالة ما إذا كانت قواربهم محملة بالكامل ولا تزال هنالك كمية كبيرة من الفضة، فإنهم يطرقون الرصاص من المراس ويجعلون الفضة تؤدي خدمة الرصاص، وهذا ما أدى لازدهار كبير لهم بفضل التجارة والتي دفعتهم لإنشاء مجموعة كبيرة من المستوطنات.[58] ثم يقدم في فقرة صورة عن "التشكك" القرطاجي، والذي جعل منهم حسب زعمه لا يثقون إطلاقا في جيش مشكل من مواطنيهم أو جيش جمع فيه حلفائهم، وأن المال الوفير هو ما ساعدهم على اخضاع عديد الشعوب من خلال استئجار المرتزقة والذي حصلوا عليه من استغلال مناجم مختلفة. وقارن بين الفينقيون والرومان معتبرا أن الفينيقيون رجال أذكياء في تحقيق الاكتشافات لتحقيق المكاسب وأن الرومان بارعون في عدم ترك أي مكسب لأي شخص آخر.[59]

وكرر المؤرخ "ديودورس الصقلي" دعاية أن القرطاجيين مارسوا التضحية البشرية (وبالأخص الأطفال الصغار)، وهي الممارسة التي ألصقت بالفينيقيين والقرطاجيين وخلقت صورة سيئة لهم كشعب مفتقد للرحمة ويمارس طقوس دينية وحشية. فجاءت الإشارة الأولى في سياق انتشار الطاعون في صفوف الجيش القرطاجي المُحاصر لمدينة "أقريقنتة" عام 406 ق.م، حيث قام "حيميلقار" (Himilcar) وهو يرى الحشود تحت الذعر الخرافي بوضع حد لتدمير البنيان، ثم تضرع للآلهة وفق عادات شعبه من خلال التضحية بصبي صغير إلى الإله "كرونوس" (بعل-حمون) وعدد كبير من الماشية إلى "بوسيدون" من خلال إغراقهم في البحر.[60] والإشارة الثانية جاءت في سياق سرد حصار طاغية "سرقوسة" الملك "أغاثوكليس" لمدينة قرطاجة في نواحي 310/311 ق.م، فأقدم القرطاجيون على التضحية بأعداد كبيرة من الأطفال إلى الإله "بعل-حمون" وفقا لعادات قديمة، وهذه التضحية الجديدة أعقبت تضحية سابقة خدعوا فيها الإله من خلال استبدال أطفال تم شراؤهم بأطفال آخرين اختيروا للعملية، وأنه كان من عادة القرطاجيين استرضاء الآلهة بتقديم تضحيات في الأوقات الصعبة.[61]

ونجد عند "ديونيسيوس الهاليكارناسوسي" (ح60-7 ق.م) تصنيفاً للشعوب، فاعتبر أن بعض الشعوب حريصة على التعلم على غرار الاغريق، وأخرى حريصة على كسب المال وهم الفينيقيون والمصريون، وبعض لديهم مزاج عنيف وهم البرابرة الذين يكرسون أنفسهم للحرب؛ وتقديم الفينيقيون بهذا التشكل هو ترديد لصورة حب المال.[62] وعند حديثه عن الخلاف بين الاغريق والفينيقيين بخصوص النشاط الصوري في منطقة مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل)، يستشهد "سترابو" بالمؤرخ "بوسيدينيوس الأفامي" (ح135-51 ق.م) الذي "يعتقد أن هذه الرواية (المتعلقة بتأسيس "قادس" وتسمية أعمدة هرقل بهذا الاسم) هي الأكثر منطقية لهذه المسألة، أما ما تعلق بأن الأمر تم بأوامر وسيط وحي الإله "هرقل" والبعثات الاستكشافية العديدة من "صور" فهي مجرد "**كذبة فينيقية**"، وهي العبارة التي استخدمها من قبل "أفلاطون".[63] ويعبر هذا الوصف عن أحقاد اغريقية لأسبقية الفينيقيين في استكشاف أعمدة هرقل والمحيط الأطلسي وسيطرتهم على التبادل التجاري بتلك المنطقة ورفضهم لأي منافس لهم بها.

وضمن سياق آخر ردد الكاتب "بلوتارخوس" (ح46-119م) صورة "البخل" النمطية عند الكتاب الاغريق، فخصص صفحة كاملة للحديث عن البخل (التقتير) المتعذر فهمه للملك "بيرسوس المقدوني" (179-168

ق.م)، وهو تصرف اتصف به، رغم أنه حسب الكاتب "**لم يكن "ليديا" ولا "فينيقيا"، بل زعم أنه يتشارك في الفضيلة مع الاسكندر الأكبر وفيليب الخامس وأنه ينحدر من نسلهما**".[64] وهذه الملاحظة التي قدمها "بلوتارخوس" حول الليديين والفينيقيين توضح أن هذين الشعبين في نظره لم يكونا أغنياء فقط، بل بخيلين كذلك. وفي الواقع، عادة ما وصف الأغنياء من جميع الأعمار بأنهم إما مسرفون أو بخلاء أو يجمعون بين هذين العيبين، فهم مسرفون على أنفسهم وبخلاء اتجاه الآخرين.[65] وقدم "بلوتارخوس" نقدا لاذعا للقرطاجيين لممارستهم تقديم الأطفال كقرابين وأنهم مارسوها عن وعي ومعرفة وأنهم افتقدوا للرأفة اتجاه أبنائهم ولم يأبهوا لأنين أمهات الأطفال.[66]

أما المؤرخ الاغريقي "أبيانوس" (ح95-165م) الذي يعد رجل دولة روماني وكان مقربا من الإمبراطور "أنطونيوس بيوس" وربما كذلك "هادريانوس"، وعرف بمؤلفاته التي حررها في النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي حول الحروب الرومانية المختلفة ومنها الحرب القرطاجية-الرومانية الثانية وحملة تدمير "قرطاجة" (149-146 ق.م). ونلحظ أن هذا المؤرخ الاغريقي وبفعل قربه من السلطة الرومانية كتب تاريخا يتوافق مع الدعاية الرومانية والصور النمطية التي تبناها وروج لها المؤرخون الرومان. فنقل خطابات ألقاها قائد الوفد القرطاجي "حصدربعل إيريفوس" (Hasdrubal Eriphus) بعد هزيمة قرطاجة في معركة "زاما" 202 ق.م، وهذا في إطار عقد معاهدة السلام بينهما. فدعا "سكيبيو الإفريقي" المبعوثين القرطاجيين ووجه لهم الخطاب التالي: "**أنتم لا تستحقون العفو، يا من انتهكتم غالبا المعاهدات المبرمة معنا وأسئتم إلى مبعوثينا مؤخرا بطريقة علنية وتتحدى السماء..** ".[67] وهنا يردد "أبيانوس" الدعاية الرومانية الشهيرة المتمثلة في أن القرطاجيين لم يحترموا المعاهدات التي أبرموها مع الرومان وكسروها عديد المرات.

وفي سياق حديثه عن النقاشات التي دارت في مجلس الشيوخ حول معاهدة السلام المعروفة باسم معاهدة "زاما" أورد أيضا أنهم "**انتهكوا معاهدات أخرى قبل هذه التي هي قيد المراجعة**"،[68] وأشار إلى أن المعاملة الرومانية القاسية مع "قرطاجة" مردها أنها مدينة كبيرة و"**لأنهم غالبا ما انتهكوا معاهداتهم معنا**".[69] وبعد ذلك، تتكرر تأكيدات مجلس الشيوخ على صفة عدم احترام القرطاجيين للمعاهدات المبرمة والقسوة المفرطة.[70] وردد "أبيانوس" بدوره صورة القسوة والوحشية التي شاعت عن القرطاجيين في حادثتين: ففي أوضاع حربية يائسة أقدم "حنبعل" على إعدام حوالي 5000 سجين خشية أن يزيدوا من المخاطر على جيشه، وهو ما سمح له من تحقيق هروب ليلي شهير استخدام فيه مشاعل ربطت بقرون الماشية للتمويه.[71] وفي مناسبة أخرى نقل أنه في مدينة "آربي" (Arpi) الواقعة في دونيا" (Daunia) والمؤسسة من قبل "ديوميديس الأرغوسي" (Diomedes)، كان هنالك شخص ينحدر من نسل الملك المؤسس يدعى "داسيوس" (Dasius) والذي كان إنسانا متقلبا للغاية، ما جعله يغير تحالفه مع الرومان ويدعم الجانب القرطاجي عقب معركة "كاناي" 216 ق.م، وعندما بدأت سلطة "حنبعل" تتضاءل، سافر إلى روما سرا وعرض إعادة المدينة للولاء الروماني كتكفير عن خطأه، وهو ما رفضه الرومان، وبسبب الخوف منهم ومن "حنبعل" أصبح هائما في البلاد، وكعقاب لما فعل، قام "حنبعل" بإحراق زوجته وأبناءه أحياء، وأعقب ذلك احكام الرومان لسيطرتهم على هذه المدينة.[72]

وقدم "أبيانوس" على لسان أحد أقارب القنصل لسنة 201 "قورنليوس لينتولوس" (Cornelius Lentulus) صورة شاملة عن الصور السلبية التي أصبحت شائعة عند الكتاب الرومان والمجتمع الروماني.[73]

بذلك، جمع "أبيانوس" عناصر الدعاية الرومانية اتجاه القرطاجيين ولخص الصور السلبية التي أصبحت ينظر لها كقاعدة في النظر والتعامل معهم: الجور والوقاحة، نقض المعاهدات وعدم احترام العهود، افتقادهم لتوقير الآلهة، الوحشية والقسوة المفرطة اتجاه الرومان ومدنهم وحلفائهم، الحيلة والحنث بالقسم، تدمير المدن وتعذيب الأسرى والتنكيل بالجثث وغيرها.

4.خاتمة:

-إن تقديم الفينيقيين في قوالب نمطية سلبية يعود لفترة مبكرة إذ ظهر لأول مرة على يد الشاعر الاغريقي "هوميروس" الذي يبدو أن تأثر بأجواء التنافس التجاري والاستيطاني بين الفينيقيين والاغريق وصاغ صورا سلبية قامت على تشويه مهاراتهم التجارية وضرب سمعتهم الأخلاقية، فزعم بأنهم محتالون وماكرون ومخادعون ويمارسون الاختطاف وجشعون. وهذا التقديم يظهر الثراء الذي حققه الفينيقيون بفضل مهاراتهم الحرفية والتجارية، وحالة النقم والحسد الاغريقي على النجاحات التجارية والاستيطانية للفينيقيين.

-من غير المستبعد أن إخفاء الفينيقيين لطرق صناعة منتجاتهم المختلفة ولمساراتهم التجارية وللبلدان التي اكتشفوها وتحصلوا منها على سلعهم النادرة وباعوا فيها منتجاتهم، ما حقق لهم أرباح هائلة، دور بارز في تقديمهم في المصادر الاغريقية في صورة تجار يمارسون المكر الاحتيال والاستغلال والربح الجائر، وقد يكون من الطبيعي أن يستخدم الفينيقيون أحيانا القوة للحفاظ على احتكاراتهم وامتيازاتهم التجارية. ومن ثمة، فإن ترديد الكتاب الاغريق لعبارة "الكذبة الفينيقية" على غرار "أفلاطون" و"بوسيدينيوس" يمكن تفسيره بأن الفينيقيين بالغوا عمدا في رواياتهم عن المخاطر الموجودة في قارة ليبيا ومنطقة ما وراء أعمدة هرقل وهذا بهدف تخويف وتثبيط همة كل من يفكر في منافستهم تجاريا بالمنطقة، فصوروها لهم على أنها رقعة لا تصلح للتجارة، فلا شيء يباع لها ولا يشترى منها، وأن أراضيها بور ولا تقدم محاصيل زراعية وأنها تعج بالعفاريت والوحوش والأساطير (منها مثلا أن الآلهة الاغريقية كانت تئد في أراضيها رفات محبوباتهم والعملاق "أنتايوس" كان يقتل فيها المسافرين، ثم يشيد من جماجم ضحاياه أهرامات ضخمة).[74] وهذا التميز الفينيقي في الإبحار لأماكن وراء أعمدة وما جلبه لهم من ثراء وقوة وسعيهم في المقابل لإخفائه بالأكاذيب والأساطير وحتى القوة جعل ربما الاغريق يلصقون أوصاف الكذب والخداع بهم.

-عند بزوغ الصراع الاغريقي-الفارسي ظهر توجه أدبي عند الكتاب الاغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد يُنظر له على أنه أسس لما يعرف اليوم بالاستشراق، والذي قدمت فيه بعض الشعوب الشرقية بأوصاف سلبية متعددة ونظر لهم أنهم شعوب غنية بشكل خرافي، وقد يكون "هوميروس" المصدر الأول لهذه الصورة حينما راح يربط بين شعوب الشرق وممارستهم للتجارة الجائرة والجشعة من خلال بيع العبيد الرجال والنساء والحصول

على ما يريدون بالقوة أو الاحتيال. نتيجة لذلك، يمكن التأكيد على أن اختراع اصطلاح "البرابرة" الاغريقي أو الأثيني في القرن الخامس قبل الميلاد قد جاء في فترة كانت فيها الهوية الاغريقية تتعرض للتحدي على نحو متزايد سواء على صعيد النفوذ السياسي والتهديد الأمني أو حتى التهديدات الثقافية والتعليمية (الهوياتية)، وهو ما كان يستدعي الرفع من الخطابات "القومية" لمواجهة تهديدات كان الفينيقيون المتواجدون في الشرق والمتحالفون مع الفرس أو فينيقيو الغرب الذين تقودهم "قرطاجة" أحد مصادرها.

.-أفضت الخطابات القومية والطموحات السياسية التي عاشها العالم الاغريقي منذ القرن الخامس قبل الميلاد إلى انبثاق ثم ترسخ ذهنية استعلائية وإزدرائية، فزكى الاغريق ذاتهم وجعلوا من أنفسهم مركز العالم وهم "الحَكَم" على أخلاق وتنظيمات وأنمطة حياة الشعوب الأخرى. وهذه القناعات التي أصبح يحملها الاغريقي ولدت فيه "اعجابا وحبا" لذاته على حساب الآخرين ومثلما خلقت له مبررات لتشويه سمعة الآخرين ومنح ذرائع للتوسع، فقد كانت أداة فعالة للترويج للمظلومية في حالة الهجوم على العالم الاغريقي من قبل الشعوب الأخرى. لذلك، فسعيهم للسيطرة على صقلية وجنوب إيطاليا مشروع ويستحق الافتخار، لكن سعي "قرطاجة" للاستيلاء عليها هو "بربرة" وعدوان ووحشية وتخريب. إن هذه الازدواجية تكشف أن عملية التأريخ لما وقع كانت متأثرة بالمناخ السياسي والشعور القومي والقناعات الثقافية. ومن ثمة، كان التدوين التاريخي عند الاغريق سلاحا لخدمة مشاريع سياسية وتصورات ثقافية.

-لقد كانت التُهم والأوصاف السلبية الاغريقية للفينيقيين والقرطاجيين مترابطة عاطفيا: الجشع وحب المال أصّل فيهم صفات المكر والاحتيال والخداع والغش، ومن أجل الحفاظ على مكاسبهم ومصالحهم، كان الفينيقيون والقرطاجيون مستعدون للقيام بأعمال تتصف بالوحشية والقسوة من قبيل التفكير في أكل لحوم البشر والتنكيل بالجثث وكل هذا يعبر عن افتقادهم للتقوى والورع وتوقير الآلهة. وقادهم الخواء الديني والروحاني إلى ممارسة طقوس متوحشة من قبيل التضحية البشرية وبالأخص الأطفال الرضع وعدم احترام المعاهدات: إذا كانت المصادر الاغريقية المؤرخة بالفترة الكلاسيكية والهلنستية لم تتبن دعاية أن القرطاجيين كانوا منتهكين للمعاهدات، فإن المؤلفات الاغريقية التي حررت في كنف الدولة الرومانية تبنت تصورها وواصلت الترويج لدعاية انتهاك القرطاجيين للمعاهدات المبرمة مع الرومان.

-من الصعوبة إثبات أو نفي تلك الصور النمطية السلبية التي قدمها الاغريق حول منافسيهم وأعدائهم الفينيقيون والقرطاجيين في ظل غياب مصادر مناقضة. لكن السياقات التي حررت فيها تلك الكتابات من التنافس التجاري والاستيطاني زمن "هوميروس" إلى اختلاق اصطلاح "البرابرة" الازدرائي وكذلك الصراع الاغريقي-القرطاجي في جزيرة صقلية، وكتابات اغريقية أخرى حررت في كنف ورعاية الدولة الرومانية كاف لإثبات أنها كتابات منحازة ودعائية وقومية. وبالتالي جاءت متحاملة ومتحيزة وساعية لتشويه سمعتهم وكل ذلك يقتضي حذر أكبر عند الاعتماد عليها من قبل المؤرخين والقراء.

الهامش

[1] P. Barceló, The perception of Carthage in Classical Greek historiography, Acta Classica, 37, 1994, p-p 1-14.

[2] كتب قائلا: "**للحدث التالي، سباق ربع ميل، وضع "أخيلوس" ابن "بيلوس" (Peleus) على الفور جوائز لسباق العدو؛/ وعاء نبيذ فضي صنع بترف؛/ لا يحتوي سوى على ستة مقاييس (غالونات)؛/ لا يُمكن أبدا لوعاء خُلط في كل العالم أن يضاهيه جمالا؛/ لقد أغدق عليه حرفيو صيدا الماهرين بالفن؛/ثم، جلبه (حمله) الفينيقيون على الوجه الضبابي للمياه، وبعد أن رست السفينة في المرفأ، منحوا الوعاء إلى "ثواس" (Thoas)**": Homer, The Iliad, Trans : A.T. Murray, Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd, 1924, 23, 740-745.

[3] كتب بهذا الخصوص قائلا: "**بمجرد أن قتله برونزيّ الحاد، هربت إلى السفينة دون تأخير، وعرضت جوائز (مغانم) على السادة الفينيقيين الأنيقين، بقدر ما يودون لإرضاء قلوبهم، متوسلا إياهم، ومُستجديا أن يأخذوني على متن السفينة والنزول بي في"بيلوس Pylos"، أو في "إيليس Elis" المحبوبة، حيث يحكم "الإبيانيين" (Epeans)". وعكس إرادتهم=رُغما عنهم، فإن قوة الرياح أبعدتهم عن مسارهم، ولم يقصدوا البتة خداعي، لكن انحرف بينا المقود من هناك و أتينا هنا ليلا. وبسرعة شديدة جدفنا إلى المرفأ، وعلى الرغم من أننا بحاجة إلى الطعام، لم نُفكر أبدا في العشاء، لذلك، خرجنا من المركب، استلقينا (اضطجعنا) جميعا حيث كنا. لقد كنت متعبا للغاية واجتاحني النوم الجميل. بعد ذلك، أخذوا أغراضي من السفينة المُجوفة وكدسوها (وضعوها)، حيث كنت مستلقيا على الرمال. ثم صعدوا على متن السفينة و انطلقوا نحو مدينة "صيدا" الصاخبة. لقد بقيت هنا، لكن القلب مضطرب":** Homer, The Odyssey, Trans : A.T. Murray, Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1919, 13, 271-286.

[4] بهذا الخصوص كتب أحداثا تشير لهذه المضامين، فجاء: "**لكن عندما حلّت السنة الثامنة، وصل رجل من "فينيقيا"، ضليع في الخداع،/ جشع ومحتال، والذي جلب فعلا الكثير من الشر (المتاعب) بين الناس،/عجباً!، لقد انتصر عليّ بمكره وأخذني معه حتى،/وصلنا إلى بيته وممتلكاته في "فينيقيا"،/ وهناك بقيت معه مُدة سنة كاملة./ لكن شيئا فشيئا، وبعد أن اكتملت الأيام والأشهر، ودار العام وتقدمت الفصول،/ وضعني على متن سفينة مبحرة إلى "ليبيا"،/ وهذا بعد أن قدمت له مشورة كاذبة بغية أن أنقل شحنة معه،/ بينما، في الواقع، بمجرد أن نكون هنالك، قد يبيعني للحصول على ربح هائل":** Homer, Odyssey, 14, 287-297.

[5] كتب قائلا: "**وإلى هناك جاء الفينيقيون، وهم رجال إبحار مشهورين، محتالون وجشعون، والذين حملوا عددا لا يحصى من الحلي في سفينتهم السوداء. الآن، وفي المنزل الذي تعيش فيه امرأة فينيقية طويلة وجميلة وماهرة في صنع الأشياء البهيّة. على أن هؤلاء الرجال الفينيقيون قد أغروها، وهم حقا رجال ماكرون. فأولا، وبينما كانت تغسل الملابس، مارس أحدهم معها الجنس بجانب السفينة المجوفة، ومثل هذا يشتت عقول النساء وإن كانت المرأة مستقيمة (فاضلة). ثم سألها؛ من هي؟ ومن أين أتت؟ أرته على الفور منزل أبي عالي السقف، وقالت: أزعم أني قدمت من "صيدا"، الغنية بالبرونز، أنا ابنة "آرباص" (Arybas) الذي كانت له ثروة كالطوفان. ولكن بعد ذلك، أخذني قراصنة "تافيان" (Taphian) عندما كنت قادمة من الحقول، وأحضروني إلى هذا المكان وباعوني لمنزل ذلك الرجل الذي دفع ثمنا باهظا".**[5] ينتهي هذا الحوار بإغراء الرجل الفينيقي لهذه السيدة للقدوم معه لرؤية منزلها وعائلتها، وهو ما وافقت عليه شريطة ألا يؤذيها، وتتطور الأحداث لاختطاف البحارة الفينيقيون "لايماوس"، ابن ملك جزيرة "سيروس" (Syros) إحدى جزر "سيكلاديز" (Syclades) بمساعدة هذه السيدة التي كانت تعمل في خدمة العائلة المالكة (والده "كتسيوس Ketsios")، ولكنها ماتت بعد أسبوع وبيع "ايماوس" إلى "لايرتيس Laertes" ملك "إيثاكا" (Ithaca): Homer, Odyssey, 15, 415-430.

[6] M. Peacock, Rehabilitating Homer's Phoenicians: On some ancient and modern prejudices against trade, Ancient Society, 41, 2011, p-p 1-29, Y. Chang, The Imagined Phoenicians in Homer's Odyssey, Tamkang Review, 47.1, December 2016, p-p 41-62, I.J. Winter, Homer'S Phoenicians: History, Ethnography, Or Literary Trope? [A Perspective On Early Orientalism], In: The Ages of Homer: A Tribute to Emily Townsend Vermeule. J. B. Carter and S. P. Morris. Austin, University of Texas, Press, p-p 247-271.

[7] كتب قائلا: "**في تلك اللحظة، وأعني، عندما كانت "صقلية" الاغريقية معرضة لخطر شديد يتمثل في أن تُحتل بالكامل من قبل "القرطاجيين" وأن تصبح بالكامل بربرية (تُبَربر كليا ἐκβαρβαρωθεῖσαν). في تلك اللحظة اختاروا "ديونيسيوس" بسبب شبابه وبراعته الحربية لتولي مسؤولية العمليات العسكرية... أنت وجها لوجه مع احتمال أن لا يبقى أثر (=أن يتم إسكات) اللغة الاغريقية في صقلية بأكملها، حيث سيتم تحويلها إلى مقاطعة أو مُلحقة تابعة للفينيقيين أو الأوبيقيانيين (Opicians) [ربما هم أحد قبائل إيطاليا الوسطى)]**": Plato, Epistles (Letters), Trans : R.G. Bury. Cambridge, MA, Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd, 1966, VIII, 353a, e.

[8] Plato, Mexexenus, Trans: W.R.M. Lamb. Cambridge, MA, Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd. 1925, 245d, J. C. Quinn, in Search of the Phoenicians, Princeton University Press, Princeton, 2018, p 54.

[9] كتب في هذا الشأن: "**...أو حب المال الذي يُمكن أن ينسب بنفس الصحة إلى الفينيقيين والمصريين"، فأجاب: "هكذا بالضبط"، فقلت: "لا توجد أي صعوبة لفهم هذا، لا شيء مهما كان**": Plato, Republic, 435c-436a.

[10] كتب بهذا الخصوص قائلا: "**ستثبت جميع موضوعات التعليم هذه أنها منصفة وملائمة شريطة أن يُتمكن من إزالة التعصب والجشع (حب الثروة) عن طريق القوانين والمؤسسات الأخرى من نفوس أولئك الذين يلهثون ورائهما من أجل الربح؛ وإلا ستجد أنك أصبحت عن غير قصد إلى "مخادع/غشاش" بالمعني الدقيق للكلمة، عوضا من "حكيم/فيلسوف"، وكأمثلة على ذلك، يُمكن أن نرى اليوم تأثير ذلك على المصريين والفينيقيين والعديد من الشعوب الأخرى الذين أصبحوا هكذا بسبب طابع التعصب لمؤسساتهم وتنظيماتهم الأخرى [أو بسبب طبيعة مهنهم وحبهم للربح ولما هم فيه من رخاء]، وقد تنسب هذه النتائج لوجود مشرع سيئ، أو لسوء الحظ الذي حل بهم، أو ربما لضرر طبيعي**": Plato, Laws, Trans R.G. Bury, Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd. 1967 & 1968, 747c-e.

[11] Poetae Comici Graeci (PCG), III.2: Aristophanes testimonia et fragmenta, Edited by: Rudolf Kassel and Colin Austin, De Gruyter, 1984, p-p 426-427, n° 957.

[12] Theophrastus of Eresus, ap. Schol. Pi. P. 2.2 = Fortenbaugh and others, 1992, vol 2, n° 586.

[13] جاء في الخطاب "**أنه على الرغم من الاستقرار الذي تعيشه "ليبيا"، إلا أن الاغريق عندما يودون التعبير عن الخراب الكامل يقولون "أكثر خرابا من ليبيا" وهذا للإشارة إلى الروح الفقيرة لسكانها وليس لفقرها، ثم راح يتساءل عن ذا الذي يخاف من رجال تمنحهم الطبيعة الأيدي التي تميز الانسان عن بقية الكائنات الحية، لكنهم يحملونها طوال حياتهم داخل غلالة (tunic) خاملة؟ [هو يشير هنا إلى عادة قيام شعوب الشرق بإدخال أيديهم في أكمام طويلة بحضور حكامهم، وبالأخص الفينيقيون والقرطاجيون] بل والأكثر من ذلك، من الذين يرتدون قمصانا داخل غلالة داخلية حتى لا يظهروا عريهم لأعدائهم عندما يسقطون في المعركة؟**": Polybius, Histories, Trans: Evelyn S. Shuckburgh, London, New York. Macmillan. 1889. Reprint Bloomington 1962, XII, 26a.

[14] A. Momigliano, Alien Wisdom: the Limits of Hellenization, Cambridge University Press, Cambridge, 1975, p 4.

[15] P. Barcelo, op.cit, p-p 9-10.

[16] Scholia Vetera In Pindari Carmina, ed, A.B. Drachmann, Vieweg+Teubner Verlag, 1997, Vol. II, Scholia In Pythionicas, 2, p-p 32-33.

[17] جاء في اشارته: "**لقد تم اختيار..قربان من أجل المدينة. منذ العصور القديمة كان للبرابرة عادة تقديم القرابين البشرية الحية إلى "كرونوس"**": Sophocles: Fragments, Trans : Hugh Lloyd-Jones, Loeb Classical Library 483, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1996, 126, p 51.

[18] Plato, Minos, Trans: W.R.M. Lamb. Cambridge, MA, Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd. 1925, 315a-c.

[19] نقل عنه أحد المعلقين قائلا: "**لقد كان الفينيقيون وبالأخص "القرطاجيون" يعبدون "كرونوس". ويحدث أنهم إذا كانوا يرغبون في تحقق شيء ما كبير، فإنهم يكرسون له أطفالهم، وفي حال التوفيق يضحون بهم للإله. لذلك، يوجد عندهم تمثال برونزي يقف منتصبا بأذرع مفتوحة وراحة يديه متجهتين للأعلى فوق أتون من البرونز تبتلع نيرانه الطفل. وعندما تصل ألسنة اللهب إلى الجسد تتصلب (تنقبض) أعضاء الضحية ويظهر توتر (اشتداد) الفم المفتوح لدرجة بروز انطباع أنه يضحك. ومع حدوث تشنج نهائي، يسقط الطفل في الأتون. وهذه "الابتسامة" تعرف باسم "الضحك الساخر" لأنهم يموتون ضاحكين**": Cleitarchus, Die Fragmente der griechischen Historiker (FGrHist), n° 137, F9.

[20] Diodorus Siculus, Library of History, Trnas: C. H. Oldfather, Loeb Classical Library 279, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1933, XIX, 103, 4-5.

[21] Ibid, XX, 14.

[22] كتب قائلا: "**حتى الآن وتحت غروب الشمس يرتعد الفينيقيون الذين يسكنون في أقصى أطراف ليبيا من الخوف. وحتى الآن، يمسك السير اقوسون برماحهم من المنتصف ويشحنون أذرعهم بدروع من الخوص. بينما "هيرون" الواقف في وسطهم ، يتشبث بنفسه مثل الأبطال القدامى مع شوشة من شعر الخيل تتدلى من على خوذته**": Theocritus, Idylls, Trans: R. J. Cholmeley, M.A. London. George Bell & Sons, 1901, 16. 76-71.

[23] . كتب قائلا: "**على الرغم من أن القادة القرطاجيين انتصروا على أعدائهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على أنفسهم، فبينما كانوا يعتقدون أنهم وضعوا حدًا للحرب ضد الرومان دبت الخصومات (الخلافات) مع بعضهم البعض، وهذا الخلاف الدائم ناتج عن الطمع (الجشع) وحب السيطرة المتأصل في الفينيقيين**": Polybius, IX, 11, 2.

[24] إن اسم "مونوماخاس" الاغريقي والذي يعني "المقاتل الوحيد في المعركة" أو "المصارع" غير معروف في الحقيقة داخل الأوساط القرطاجية. لذلك، يمكن اعتباره لقب يدل على الشخص الحريص على القتال الفردي وأن "بوليبيوس" وضع مقابلا اغريقيا للقب فينيقي حمله صديق "حنبعل"، أو أنه اسم عسكري منح لضابط من جيش "حنبعل" اكتسبه نتيجة جرأته واكتسبه إثر مناجزات فردية قام بها في اسبانيا. ويعتقد بعض الباحثون أنه

"مونوماخوس القرطاجي" الذي أرسله "حنبعل" إلى "سرقوسة" لإقناع ملكها "هيرونيموس" بقطع تحالفه مع روما"": L. Rawlings, Hannibal the cannibal? Polybius on Barcid atrocities, Cardiff Historical Papers, 9, 2007, p 8-9, n° 19.

[25] Polybius, IX, 22-26.

[26] ibid, IX, 22, 8, 26, 11.

[27] ibid, III, 51, 3-6, 53, 3-10, 56, 2, 60, 3-4.

[28] ibid, III, 49, 11, 51, 12-13, 60, 4-7.

[29] ibid, III, 47-48.

[30] كتب بهذا الخصوص قائلا: "**عندما أثبتت الاستعدادات التي تم اتخاذها أنها غير متناسبة مع حجم جيش "حنبعل"، راح أحدهم يقترح أن يأخذ بعين الاعتبار مقترح أن يتغذى الجنود على لحوم خصومهم. ورغم أنه لم يعتبر الفكرة نافعة، فقد عبر عن خشيته من أن نقص الجثث قد يدفعهم في يوم ما أن يتحولوا إلى أكل بعضهم البعض**": Dio Cassius, Roman History, Trans: Earnest Cary, Herbert B. Foster. Loeb Classical Library 32. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1914, XIV, 57, 3, L. Rawlings, op.cit, p-p 13-14.

[31] Polybius, I, 85, 1-3, 88, 7.

[32] ibid, I, 56, 6 ; I, 81, 3 ; I, 82, 2 ; I, 82, 10.

[33] ibid, I, 84, 10-11 ; I, 85, 2-7.

[34] ibid, IX, 26, 1, L. Rawlings, op.cit, p-p 19-20.

[35] ibid, IX, 26, 2-6.

[36] Ibid, IX, 26, 6-7.

[37] Ibid, IX, 26, 9.

[38] Ibid, IX, 26, 10, Arthur M. Eckstein, Moral Vision in the Histories of Polybius, London: University of California Press, 1995, p-p 125-129, 166-169.

[39] Appian, Hannibalic War, Trans : Horace White. New York. The Macmillan Company, 1899, 5, 31.

[40] Polybius, III, 62-63.

[41] Ibid, III, 62, 4.

[42] Ibid, III, 63.

[43] ibid, III, 63, 1-2.

[44] ibid, III, 77, 3-7 ; III, 85, 1-5, Tite Livy, XXII, 7, Appian, Hannibalic War, 2, 10.

[45] L. Rawlings, op.cit, p-p 23-24.

[46] Polybius, III, 77, 3, VI, 58, M. Tullius Cicero, De Officiis, Trans: Walter Miller. Cambridge. Harvard University Press; Cambridge, Mass., London, England, 1913, III, 113, Titus Livius (Livy), The History of Rome, Trans: Rev. Canon Roberts. New York, E. P. Dutton and Co, 1912, XXII, 58-61.

[47] Polybius, III, 86, 11.

[48] ibid, III, 9, 6-9 ; 10, 5-7 ; 13, 5 ; 14, 9.

[49] ibid, III, 86, 11 ; 100, 4, IX, 22, 1.

[50] ibid, III, 30, 4 ; III, 10.

[51] ibid, IX, 22, 6.

[52] ibid, III, 78, 1.

[53] ibid, XXXVIII, 8.

[54] L. Rawlings, op.cit, p-p 26-27.

[55] Diodorus Siculus, XI, 23-24.

[56] ibid, XIV, 45-55.

[57] أورد قائلا: "عندما أبلغ المبعوثون الرومان أنهم تغلبوا على "بيرسيوس" دون اللجوء إلى السلاح، اتخذ بعض أعضاء مجلس الشيوخ خطوة لمدحهم. لكن رغم ذلك، لم يكن الرجال الأكبر سناً راضين بما تم القيام به وقالوا أنه لم يكن من اللائق أن يقلد الرومان الفينيقيين، فكان من الأجدر أن يتغلبوا على أعدائهم بالشجاعة بدلا من الاحتيال (الخداع)": Diodorus Siculus, XXX, 7, 1.

[58] Diodorus Siculus, V, 35, 4.

[59] ibid, V, 38, 2-3.

[60] ibid, XIII, 86.

[61] كتب قائلا: "لقد ادعى القرطاجيون أن كرونوس (Kronos) قد انقلب عليهم باعتبار أنهم كانوا سابقا معتادين على التضحية لهذا الإله بأنبل أبنائهم. على أن الذي حدث في الآونة الأخيرة هو أنهم قاموا بشراء أطفال ورعايتهم سرا، ثم قدموهم كقرابين (أضاحي). وبعد إجراء تحقيق تم اكتشاف أن بعض أولئك الذين التضحية بهم قد تم استبدالهم بطريقة سرية. ومراعاة لهذه الأمور ورؤيتهم العدو [جيش أغاثوكليس] يعسكر أمام أسوارهم، تملكهم الفزع الخرافي لأنهم اعتقدوا أنهم استخفوا بالتشريف المستحق لآلهة أجدادهم. وفي حماسهم للتعويض عن تجاوزهم (شططهم)، اختاروا مئتان من أنبل الأطفال وضحوا بهم علانية؛ بينما آخرون كانوا محل اشتباه، فقد ضحوا بأنفسهم طواعية وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة. وكان لديهم في المدينة (قرطاجة) تمثال لكرونوس من البرونز، يداه ممدودة وراحة اليد إلى الأعلى وتميل نحو الأرض، بحيث أن كل طفل عند وضعه عليه يتدحرج للأسفل ويسقط في حفرة عميقة وواسعة مليئة بالنيران": Diodorus Siculus, XX, 14,.

[62] Menander Rhetor. Dionysius of Halicarnassus, Ars Rhetorica, Trans: William H. Race, Harvard University Press, 2019, (Loeb Classical Library 539), XI, 5, 23.

[63] كتب أفلاطون قائلا: "قال لي: "بغية اقناع الحكام أنفسهم إن أمكن بكذبة نبيلة، ولكن العيب في ذلك باقي المدينة، فعن أي نوع من الخيال تتحدث؟". قلت، لا شيء جديد، فقط حكاية (كذبة) فينيقية، شيء حدث من قبل في العديد من أجزاء العالم، مثلما أكد الشعراء ودفعوا الناس للتصديق. ولكن هذا لم يحدث وربما لن يحدث على الأرجح في أيامنا (عصرنا) ولا يتطلب الكثير من الاقناع لجعله قابلا للتصديق": Plato, Republic, Trans: Paul Shorey. Cambridge, MA, Harvard University Press; London, William Heinemann Ltd, 1969, III, 414b-c, Strabo, Geography, Trans: H.C.T. Hamilton, George Bell & Sons, London, 2003, III, 5, 5.

[64] Plutarch, Aemilius Paulus, Trans: Bernadotte Perrin. Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd. 1918, 12, 5.

[65] B. Isaac, The Invention of Racism in Classical Antiquity, Princeton, Princeton UP, 2004, p 335.

[66] أورد بهذا الخصوص: "لقد كان القرطاجيون بوعي ومعرفة كاملين يقدمون أبنائهم كقرابين. أما أولئك الذين ليس لهم أطفال، فيشترون أطفالا صغار من الفقراء ويقطعون حناجرهم كما لو كانوا حملان أو طيور صغيرة؛ وفي غضون ذلك كانت الأم تقف مكتوفة الأيدي بدون دموع أو أنين. وإن حدث وأن تفوهت بأنين واحد أو أنزلت دمعة واحدة، فإنها تفقد مال البيع وهذا بعد أن تم التضحية بطفلها. وخلالها يمتلئ كل الفضاء المجاور للتمثال بالضجيج العال للمزامير والطبول وهذا لا يصل صراخ النحيب إلى آذان الناس": Plutarch, de superstitione, Moralia, Trans: William W. Goodwin, PH. D. Boston. Little, Brown, and Company. Cambridge. Press Of John Wilson and son. 1874, II, 13.

[67] Appian, Libyca, Trans : Horace White. New York. The Macmillan Company, 1899, VIII, 53.

[68] Ibid, Libyca, IX, 58.

[69] Ibid, Libyca, IX, 59.

[70] ذكر قائلا: "إذن، ما هي الشفقة أو ما هو الاعتدال المستحق من الآخرين لهؤلاء القرطاجيين الذين لم يمارسوا أبداً الاعتدال أو الرأفة في أي شيء، والذين، كما يقول "سكيبيو" كان بإمكانهم محو اسم "روما" ذاتها لو هزمونا.... لذلك، كيف ذلك؟ وأي معاهدة وأي قسم؟ إلا وسيدوسون عليها بالأقدام. وقد يقول الرجل المحترم أنه لا يجب علينا أن نقلدهم.. و أنه لا ينبغي تقليد قسوتهم، لكن هل يتوجب أن نجعل أكثر الناس قسوة أصدقاءنا وحلفاءنا.. دعهم يستسلمون حسب تقديرهم، كما هي عادة المهزومين ومثلما استسلم آخرون لنا، ثم سنرى ما نفعله.. وطالما أننا نتعامل معهم، فسوف ينتهكون المعاهدات مثلما فعلوا حتى الآن ودائما ما يقدمون بعض الأعذار التي مفادها أنه تم تجاوزهم، وهذا لأن النقاط الملتبسة فيها دائما ما توفر أسبابا معقولة للنزاع": Appian, Libyca, IX, 64.

[71] Appian, Hannibalic war, 3, 14, Zonaras, Epitome historiarum, Trans: Herbert Baldwin Foster, Pafraets Book Co, Troy, N.Y, 1905, 8, 26.

[72] Appian, Hannibalic war, 5, 31.

[73] كتب قائلا: "إنني لا أعتقد أنه يمكن اتهامنا بعدم الاعتدال اتجاه القرطاجيين الذين كانوا في أيام ازدهارهم جائرين ووقحين اتجاه الجميع، ثم أصبحوا متضرعين في المحن وسوف ينقضون على الفور المعاهدة الجديدة إذا سنحت لهم الفرصة. إنهم لا يحترمون المعاهدات ولا قسمهم. ويعتقد الرجل النبيل أن علينا تجنب هؤلاء الناس حتى نتفادى سخط الآلهة وتوبيخ الرجال. أعتقد أن الآلهة قد أدخلوا "قرطاجة" في هذه المحنة لمعاقبة أولئك الذين قطعوا العهود ونقضوا قسمهم و اقترفوا الأعمال المشينة والوحشية معنا ومع الآخرين في صقلية واسبانيا و إيطاليا و افريقيا. وذبحوا شعب "ساغنتوم" حتى آخر رجل رغم أنهم لم يقوموا بأي إهانة، ورغم استسلام سكان بلدة "نوقيريا" (Nuceria) الخاضعة لنا بموجب اتفاق محلف، فقد أغلقوا على سيناتوريها في الحمام وخنقوهم بالحرارة. ثم أطلقوا النار على عامة الناس بالسهام عند توغلهم في البلاد. وبعد الدخول في معاهدة مع مجلس شيوخ "أقيرا" (Acerra) ألقوا بهم في الآبار ودفنوهم أحياء. لقد استدرجوا قنصلنا "ماركوس قورنليوس" (Marcus Cornelius) باليمين الكاذب لإجراء مقابلة مع قائدهم الذي تظاهر بأنه مريض، ثم قبضوا عليه وحملوه أسيرا من "صقلية" إلى إفريقيا مع اثنا وعشرون من سفننا. وقتلوا قائدنا الآخر "ريغولوس" تحت التعذيب بعد أن عاد إليهم وفقا لقسمه. وارتكب "حنبعل" نفس الأفعال في الحرب؛ الحيلة والحنث باليمين ضد مدننا وجيوشنا وفي النهاية ضد حلفائه وتدمير مدنهم وذبح جنودهم الذين يخدمون معه ويستغرق الأمر وقتا طويلا لتعداد ذلك. باختصار، لقد أخلى 400 بلدة لنا من سكانها، وألقى رجالنا الذين أخذهم كأسرى في الخنادق والأنهار، وبنى جسورا من أجسادهم للعبور وداستهم الفيلة، وجعلهم يقاتلون مع بعضهم البعض، إخوة ضد إخوة والآباء ضد الأبناء. والآن، بينما كانوا هنا يطلبون السلام ويدعون الآلهة للشهادة ويقسمون وسفرائهم لا يزالون بيننا، استولوا على سفننا في إفريقيا وقيدوا رجالنا. لقد وصلوا إلى درجة الجنود هذه بسبب ممارستهم للقسوة": Appian, the punic wars, Trans : Horace White. New York. The Macmillan Company, 1899, IX, 62-63.

[74] F. Chamoux, Cyrène sous la monarchie des Battiades, Paris, E. de Boccard, 1953, p-p 50-60.